الديار
٢٦ حزيران ١٩٩٢

الازدواجية في الانسان والعالم

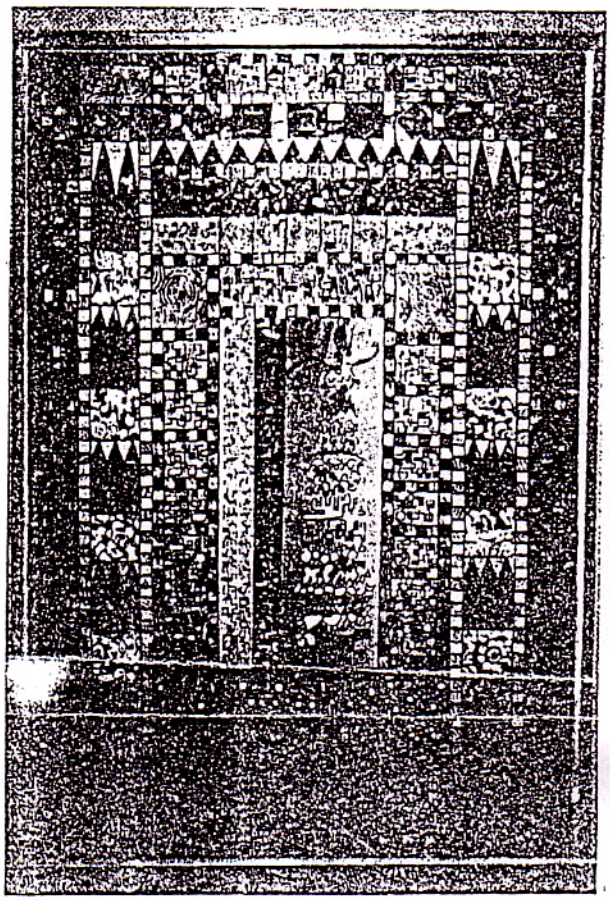

ريشة : لوتي عضيمي

لعلّ اهم ما يتبادر الى ذهن طالب معرفة الذات، واكثر ما يشغل تفكيره، هو موضوع الازدواجية في الانسان. الذي يعتبر الافصح بلاغة والاعمق فلسفة وغموضاً...

لعله السؤال الاكثر عمقاً، والابعد مسافة، والاشمل تشعباً والاهم في حياة الانسان المعاصر حيث يطال اعماق الوعي وصلب تكوين الانسان الذي يحوي الروح والمادة، الوعي واللاوعي، الايجابيات والسلبيات، المحبة والكره، الهدوء والصخب، الحنان والقسوة، الصحة والمرض الى ما هنالك.

والعالم من الناحية الاخرى يحوي النور والظلام، الولادة والموت، الانبثاق والاضمحلال، الروح والمادة، الحياة والعدم..
ترى! لاي سبب وجود هذه الازدواجية في الانسان والعالم؟
كيف، ولماذا وجدت في حياة الانسان؟
الخالق واحد؟ نعم!
الخلق حصل مرة واحدة؟ نعم!
الحياة مزدوجة؟ نعم!

وكيف يمكن للوحدة ان تخلق ازدواجية؟
وهل للازدواجية علاقة بعملية الخلق؟
وهنا اجاوب نفسي بتجرد! لا علاقة للازدواجية بعملية الخلق، لان الخالق وحدة لا تتجزأ...
اذن، ان لم تكن الازدواجية من صنع الخالق فهي من صنع الانسان.. ولكن كيف؟

ارى نفسي تتشرذم امامي ولا استطيع معالجتها ولا حتى اجابتها، واني الآن اتمنى لو ابعد عنها حتى لا تحرجني باسئلتها!
وها انني ابعد السؤال جانباً واذهب الى عملي، ارى المدير وارى السائق، ارى الطبيب وارى عامل التنظيفات، ارى المعافى وارى المريض كوني اعمل في الجسم الطبي.
اترك عملي، اذهب الى منزلي، اضع رأسي على وسادتي، اريد ان أنام. وتكر سبحة الاسئلة الى رأسي وكأنها وابل من القذائف لا استطيع التهرب منها! وكأنها تكاد تقضي عليا قبل بزوغ الفجر.
يجب ان افعل شيئاً حيال ذلك، واني اليوم اسأل اكبر عدد ممكن من البشر.

ان كان الخالق وحدة فالازدواجية صنع من؟ هل هي صنع الانسان؟
اجابات كثيرة اتتني قبل الجواب الشافي واغلبها تمحور حول الجواب العادي اي ان لا احد يستطيع ان يجيبك عن هذا السؤال!
وكأنهم بهذا الجواب حكموا على كل الافكار وعلى كل المعارف ونحن ما زلنا نجهل اكثر من ٦٠٪ من مساحة الكرة الارضية.

واذا كان نصيبي ان التقي الاشخاص الذين لم يعرفوا الجواب، اقول كيف يمكنهم الاجابة وهم لم يتوصلوا بعد الى طرح السؤال؟
ومن الناحية الثانية اقول: لم اطرح السؤال على كل فرد من العالم حيث ان عدم رؤية الشيء، ليس اثباتاً لعدم وجوده.

واذا سلمت جدلاً ان هذا السؤال ليس له جواب فعلاً وتركته جانباً ولكنني اقول، هل استطيع ان اهرب من الحرب؟
هل استطيع ان اهرب من صعوبة المعيشة؟
هل استطيع ان اهرب من المرض؟
هل استطيع ان اهرب من القلق؟
هل استطيع ان اهرب من مصاعب الحياة؟
هل استطيع ان اهرب من الخوف؟
هل استطيع ان اهرب من الالم؟
اليست هذه ازدواجية؟

حيال الذي مر، ان الذين دعوني للتخلي عن هذا التساؤل فهم اليوم يطرحونه رغماً عنهم، لانه من صلب تكوين الانسان ولا يمكننا الفرار منه. كما لا يمكن للمرء الاختباء وراء اصبعه.
ما من شك انه سؤال يجب ان يطرحه كل فرد، ويصل الى وعيه، لانه من صلب تكوين الانسان!

وهنا سؤال لم يعد مجرد سؤال اكثر منه حلقة مفقودة، بين وحدة خالق وازدواجية حياة!
وهنا نتذكر اقوال الفلاسفة، ومنهم شيخ الفلاسفة سقراط الذي قال: اعرف نفسك تعرف كل شيء!!!
وغيره قال: كثير من الناس يعرفون القلة. لكن القلة الذين يعرفون انفسهم!!

اصعب شيء في الوجود ان يعرف الانسان نفسه!
اتعتقد انك جرم صغير، وانطوى فيك العالم الاكبر؟
كل القدماء قالوا لنا اعرف نفسك، ولكن لم يأت احد ويقدم لنا منهجية «اعرف نفسك» التي تحتاج لتطبيق عملي جدي في الحياة، انطلاقاً من ان الانسان هو المختبر والمختبر هو الباحث وموضوع البحث وحقل الابحاث في الوقت نفسه.

لا شك ان هذا الطرح سيدعو البعض للاعتقاد اني انسان غير مؤمن ولكني اقول للمؤمنين:
ان العدل الالهي وقانون الثواب والعقاب. لا مجال للشك في حكمته الالهية العادلة، وناموسه المقدس، ولكنني انسان طرح تساؤلاً عن حلقة مفقودة بين وحدة نظام وازدواجية حياة؟
هل المعرفة محجوبة عن الانسان؟
الا يحق لي ان اعرف؟!

ميشال هيدموس